

الأسماء والصفات

نقلاً وعقلاً

للشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي

المتوفى سنة ١٣٩٣هـ رحمه الله تعالى

صاحب أضواء البيان

محققة ومزيدة بتعليقات مفيدة

حققه وعلق عليه

شريف بن محمد فؤاد هزاع

مكتبة التوعية الإسلامية

لإحياء التراث الإسلامي

الطبعة الأولى بمكتبتنا
(١٤٠٨هـ)

الناشر
مكتبة التوعية الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
العنوان: ناصية شارع محمد عبد الهادى ـــ الطالبية ـــ الجوهرة الجيزة

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل . ومن يضلله الله فلا هادى له . »

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران الآية : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء الآية : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب الآية : ٧٠ ــ ٧١] .

أما بعد :

فهذه رسالة قيمة ــ نافعة إن شاء الله ــ فى فهم آيات الأسماء والصفات وبيان منهج السلف الطيب فى الإيمان بهذه الآيات المباركات .

والدافع على طبع هذه الرسالة ، كان لعدم توافرها بين المسلمين إذ أنها لم تطبع ــ فى حد علمى ــ إلا فى مجلة الجامعة الإسلامية ــ العدد الرابع السنة الخامسة بعنوان [الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً] وهى محاضرة كان ألقاها الشيخ رحمه الله بالجامعة ثم طبعت بعد ذلك للتوزيع بعنوان [منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات] ثم صورت بعد ذلك

مرات وطبعت كذلك فى الكويت. غير أن أغلب النسخ ومنها* مجلة الجامعة مليئة بالأخطاء وعدم فصل الآيات عن كلام المؤلف إذ إنها فى الغالب نسخت من شريط.

فاستخرت الله فى أن أضبط نصوصها وآياتها مع تخريجها وتخريج الأحاديث فانشرح صدرى لذلك العمل فاستعنت بالله وأضفت مع ذلك بعض النصوص من السنة النبوية لصفات لم ترد فى كتاب الله وجاءت على لسان رسول الله ﷺ أو صفة كثر الكلام عليها بين الإيمان بها أو تأويلها مع الحفاظ على العنوان الذى اختاره المؤلف رحمه الله للمحاضرة.

هذا — ولاأبرىءنفسى ولقد بذلت وسعى فى أن تخرج هذه الرسالة القيمة إلى القارىء فى ثوب قشيب فإن أحسنت فالحمد لله وإن أسأت فمن نفسى وأستغفر الله الذى لا يغفر الذنوب إلا هو، والذى أريده منك أخى القارىء دعوة بظهر الغيب أن يوفقنا الله لما يحب ويرضى وأن يحشرنا الله فى زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً...

وأصلى وأسلم على نبينا محمد ﷺ
والحمد لله رب العالمين.

كتبه
أبو أيوب المصرى
شريف بن محمد فؤاد بن جسن هزاع
عفا الله عنه وغفر له
ليسانس حديث ودراسات إسلامية
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية
عمان فى ٢٦ شعبان ١٤٠٦هـ.

تعريف بالمؤلف

هو بقية السلف الشيخ الجليل العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى .

ولد رحمه الله فى عام ١٣٢٥ هـ فى بلدة تسمى (تنبه) من أعمال مديرية (كيفا) من القطر المسمى بشنقيط وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن .

حفظ القرآن فى بيت أخواله وعمره عشر سنوات ثم تعلم الرسم العثمانى والتجويد برواية ورش ورواية «قالون» وكان عمره ستة عشر عاما .

وفى أثناء ذلك درس بعض المختصرات فى فقه مالك كرجز الشيخ ابن عاشر وكذا درس فى الأدب ومبادىء النحو ودروس فى أنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية واشتهر بعد ذلك بالقضاء وكان المواطنون عظيمى الثقة فيه بل كان عضوا فى لجنة مكونة منه ومن عالم آخر للتصديق على الأحكام فى الدماء .

وكان خروجه من بلاده لأداء فريضة الحج وعلى نية العودة ثم تجددت نية بقائه وكان له أعظم شأن بعد ذلك فى البلاد السعودية حيث توفى هناك فى مكة المكرمة عقب حجه سنة ١٣٩٣ هـ فرحمه الله رحمة واسعة ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالَمينَ والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومَن تَبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعدُ :

فإنا نريد أن نوضِّحَ لَكُمْ مُعْتَقَد السّلَفِ والطريق الذى هو المنجى نحو آيات الصفات :

أولاً : اعلموا أن كثرةَ الخوضِ والتعمق في البحثِ في آيات الصفاتِ وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوعِ من البدعِ التي يكرهها السلف .

اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركز على ثلاثة أسسٍ مَنْ جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذى كان عليه النبي ﷺ ، وأصحابه والسلف الصالح ومن أخل بواحدٍ من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل .

وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم .

أحدُ هذه الأُسسِ الثلاثة هو تنزيه الله جل وعلا عَنْ أن يُشْبه شيءٌ مِنْ صفاته شيئاً من صفاتِ المخلوقينَ وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١]،

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ . ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾

الثاني من هذه الأُسس : هو الإيمانُ بما وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ لأنَّه لاَيَصِفُ الله أعلمُ بالله مِنْ الله :

﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]

والإيمان بما وَصَفَهُ بِهِ رسولهُ ﷺ لأنّه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسولِ الله ﷺ الذى قال في حقه:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤]

فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وينزه ربَّه جلَّ وعلاَ عَنْ أنْ تُشبِهَ صِفَتُهُ صفة الخلق وحيث أخل بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال لأن من تنطع بين يدى رب السموات والأرض وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة ونفى عن ربه وصفاً أثبته لنفسه فهذا مجنون (١) فالله جل وعلا يثبت لنفسه صفات كمال وجلال فكيف يليق لمسكين جاهل أن يتقدم بين يدى رب السمواتِ والأرضِ ويقول هذا الذى وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقصِ كذا وكذا فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاءِ نفسي من غير استناد إلى كتابٍ أو سنةٍ، سبحانك هذا بهتانٌ عظيم ومَنْ ظنَّ أنَّ صفةَ خالقِ السمواتِ والأرضِ تُشبه شَيئاً مِنْ صِفَاتِ الخلقِ فهذا مجنون (١) جاهلٌ ملحدٌ ضالٌ ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منزهاً ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق فهو مؤمن منزه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل وهذا التحقيق هو مضمون:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع ذلك لأن الله قال:

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾
[الشورى: ١١]

---

(١) المناسب أن يقال ضال أو جاهل.

ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ليس كمثله شيء.. فالله جل وعلا له صفات لائقة بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق ثابت لا شك فيه.

إلا أن صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين، فمن نفى عن الله وصفا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله سبحانك هذا بهتان عظيمٌ ومَنْ ظنَّ أنَّ صفةَ رَبهِ تُشْبِه شيئاً مِنْ صفةِ الخلق فهذا مجنون (١) ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله:

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]

ومن يُسوى رب العالمين بغيره فهو مجنون (١)، ثم اعلموا أنَّ المتكلمينَ الذين خاضوا في الكلام وجاءوا بأدلة يسمونها أدلة عقلية ركبوها في أقيسة مَنْطِقِيَّة قسَّمُوا صفَات الله جلَ وَعلا إلى ستةِ أقسام:

قالوا هناك صفة نفسية وصفة معنى. وصفة معنوية وصفة فعلية وصفة سلبية وصفة جامعة.

أما الصفات الإضافية فقد جعلوها أموراً اعتبارية لا وجود لها في الخارج وسببوا بذلك إشكالات عظيمة وضلالاً مبيناً.

ثمَّ إنا نبين لكم على تقسيم المتكلمين ما جاء في القرآن العظيم من وصف الخالق جل وعلا بتلك الصفات ووصف المخلوقين بتلك الصفات وبيان القرآن العظيم لأنَّ صفةَ خالق السموات والأرضِ حقٌ وأنَّ صفة المخلوقين حقٌ وأنَّه لا مناسبةَ بينَ صفةِ الخالق وبينَ صفةِ المخلوق فصفة الخالق لائقة بذاته وصفة المخلوق مناسبة لعجزه وافتقاره وبين الصفة والصفة من المخالفة كمثل ما بين الذَّات والذَّات أما هذا الكلام الذي

(١) المناسب أن يقال ضال أو جاهل.

يدرس في أقطار الدنيا اليوم في المسلمين فإن أغلب الّذِين يَدرسُونَهُ إنما يثبتون من الصفات التي يسمونها صفات المعاني. سبع صفات فقط وينكرون سواها من المعاني ويؤولونها، وصفة المعنى عندهم في الاصطلاح ضابطها هي أنها ما دل على معنى وجودى قائم بالذات، والذى اعترفوا به منها سبع صفات هي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

ونفوا غير هذه الصفات من صفات المعاني التي سنبينها ونبين أدلتها من كتاب الله، وأنكر هذه المعاني السبعة المعتزلة وأثبتوا أحكامها فقالوا:

هو قادر بذاته سميع بذاته عليم بذاته حي بذاته ولم يثبتوا قدرة ولا علما ولا حياة ولا سمعاً ولا بصراً فراراً منهم من تعدد القديم وهو مذهب كلّ العقلاء يعرفون ضلاله وتناقضه وأنّه إذا لم يَقم بالذات عِلمٌ استحال أن تقولَ هى عالمة بلا علم وهو تناقض واضح بأوائل العقول فإذا عرفتم هذا فسنتكلم على صفات المعاني التي أقروا بها فنقول:

١ — وصفوا الله تعالى **بالقدرة** وأثبتوا له القدرة والله جل وعلا يقول في كتابه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

ونحن نقطع أنه تعالى متصف بصفة القدرة على الوجه اللائق بكماله وجلاله. وكذلك وصف بعض المخلوقين بالقدرة قال:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ٣٤]

فأسندَ القدرةَ لبعض الحوادث ونسبها إليهِمْ وَنحنُ نَعلم أن كلَّ ما في القرآن حق وأن للمولى جلَّ وعَلاَ قدرة حقيقية تليقُ بكمالِهِ وجلالِهِ. كما أنَّ للمَخْلُوقِينَ قُدْرَة حقيقيةِ مناسِبة لحالِهم وعَجزهِم وَفَنائِهم وَافْتقارِهم.

وبينَ قدرةِ الخالقِ والمخلوقِ مِنْ المنافاةِ والمخالفةِ كمثلِ ما بينَ ذاتِ الخالقِ والمخلوقِ وَحَسْبُكَ بوناً بذلك.

* * *

٢، ٣ ــ ووصف نَفْسَهُ بالسَمْعِ والبَصَرِ في غير ما آية من كتابه قال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]،

ووصف بعض الحوادث بالسمع والبصر، قال:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [مريم: ٣٨]

ونحن لا نشك أن ما في القرآن حق فلله جل وعلا سمع وبصر حقيقيان لائقان بجلاله وكماله. كما أن للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقيين مناسبين لحاله من فقره وفنائه وعجزه وبين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق.

* * *

٤ ــ ووصف نفسه بالحياة قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية [غافر: ٦٥]

ووصف أيضاً بعض المخلوقين بالحياة قال:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥]

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [الروم: ١٩]

ونحن نقطع بأن لله جل وعلا صفة حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله. كما أن للمخلوقين حياة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم وبين صفة الخالق والمخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذاتِ الخالق والمخلوقِ. وذلك بونٌ شاسع بين الخالق وخلقهِ.

٥ — ووصف جل وعلا نفسه بالإرادة قال:

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦]

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]

ووصف بعض المخلوقين بالإرادة قال:

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأنفال: ٦٧]

﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب: ١٣]

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ٨]

ولا شك أنَّ للهِ إرادة حقيقية لائقة بِكَمَالِهِ وَجَلاَلِهِ كما أنَّ للمخْلُوقِينَ إرادة مناسبة لحالهم وعجزِهم وفنائِهم وافتقارِهم، وبين إرادة الخالق والمخلوق كمثلِ ما بين ذاتِ الخالقِ والمخلوقِ.

٦ ـ وصف نفسه جل وعلا بالعلم قال:

﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

﴿ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء: ١٦٦]

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧]

ووصف بعض المخلوقين بالعلم قال:

﴿ وَبَشَّرُوهُ(٢) بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات: ٢٨]

﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ [يوسف: ٦٨]

ولا شك أن للخالقِ جلّ وعلا عِلماً حقيقياً لائقاً بكمَالِهِ وجلالِهِ محيطاً بكل شيءٍ كما أنّ للمَخْلُوقِينَ عِلماً مناسباً لحالِهم وفنائِهم وعجزِهِم وافتقارِهِم وبينَ عِلمِ الخالقِ والمخلوقِ من المنافاةِ والمخالفةِ كمثلِ ما بينَ ذاتِ الخالقِ والمخلوقِ.

٧ ـ ووصف نفسه جل وعلا بالكلام. قال:

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]

﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦]

ووصف بعض المخلوقين بالكلام قال:

﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف: ٥٤]

﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ ﴾ [يس: ٦٥]

---

(٢) في المطبوعة: (وبشرناه بغلام عليم) والتصحيح من المصحف.

ولا شَكَ أنَّ للخَالِق تعالى كلاماً حقيقياً لائقاً بكمالِهِ وجلالِهِ. كما أن لِلمخلوقينَ كلاماً مناسباً لحالِهم وفنائِهم وعجزهم وافتقارِهم، وبينَ كلامِ الخالق والمخلوقِ مِنَ المنافاةِ والمخالفة كمثل مابينَ ذاتِ الخالق والمخلوق.

هذه صفات المعاني سمعتم ما في القرآن من وصف الخالق بها ووصف المخلوق ولا يخفى على عاقل أن صفات الخالق حق. وأن صفات الخالق لائقة بجلاله وكماله، وصفات المخلوقين مناسبة لحالهم وبين الصفة والصفة كما بينَ الذاتِ والذاتِ.

— فصل —

وسنبين مِثْلَ ذلكَ في الصفاتِ التى يُسَمُّونَها سَلْبيَّة وضابط الصفة السلبية عند المتكلمين. نقول :

هذا قياس عدم محض، والمراد بها أن تدل على سلب ما لا يليقُ بالله عَنِ الله مِنْ غير أن تدل على معنى وُجُودى قائم بالذات والذِين قالوا هذا جعلوا الصفات السلبية خمساً لاسادس لها وهى عندهم القدم والبقاء والمخالفة للخلق والوحدانية والغنى المطلق الذى يسمونه القيام بالنفس الذى يعنون به الاستغناء عن المخصص والمحل فإذا عرفتم هذا فاعلموا أن القدم والبقاء اللّذين وصف المتكلمون بهما الله جل وعلا زاعمين أنَّهُ وصف بهما نفسه في قوله هو «الأول والآخِرُ» قد وصف بهما المخلوق والقدم فى الاصطلاح عندهم عبارة عن سلب العدم السابق إلا أنه عندهم أخص من الأزل لأن الأزل عبارة عما لا افتتاح له سواء كان وجودياً كذات الله وصفاتهِ أو عدمياً كإعدام ما سوى الله لأن العدم السابق على العالم قبل وجوده لا أول له فهو أزلى ولا يقال فيه قديم والقدم عندهم عبارة عما لا أول له بشرط أن يكون وجودياً كذات الله متصفة بصفات الكمال والجلال ونحن الآن نتكلم على ما وصفوا به الله جل وعلا من القدم والبقاء وإن كان بعض العلماء كره وصفه جلا وعلا بالقدم كما يأتي. فالله عز وجل وصف بعض المخلوقين بالقدم قال :

﴿ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩]

﴿ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَـدِيمِ ﴾ [يوسف: ٩٥]

﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٦]

ووصف بعضهم بالبقاء قال:

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧]

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ (٣) وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]

ولا شك أن ما وصفوا به الله من هذه الصفات مخالف لما وصف به الخلق نحو ما تقدم.

أما الله عَزّ وَعَلاَ فلم يَصِفْ فى كتابِهِ نَفسه بالقدم وبعض السلف كره وصفه بالقدم لأنَّه قد يطلق مع سبق العدم نحو:

﴿ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]

﴿ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَـدِيمِ ﴾ [يوسف: ٩٥]

﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٦]

وقد جاء فيه حديث قال فيه بعض العلماء هو يدل على وصفه بهذا وبعضهم يقول لم يثبت وقد ذكر الحاكم في المستدرك(٤) في بعض الروايات القديم في أسمائه تعالى وفي حديث دخول المسجد:

---

(٣) فى المطبوع (ينفذ) والتصحيح من المصحف.

(٤) ضعيف. المستدرك (١/١٧) وفيه عبد العزيز حصين بن الترجمان قال الحاكم: ثقة وقال الذهبى فى التلخيص: بل ضعفوه وله ترجمة فى الميزان (٢/٦٢٧) وذكر له هذا الحديث، ونقل عن ابن معين تضعيفه وعن مسلم قوله: ذاهب الحديث وقال ابن عدى فى الكامل (١٩٢٤/٥) الضعف على روايته وانظر اللسان (٢٨/٤) وانظر فتح البارى (٢١٦/١١) وأخرجه ابن ماجه (٣٨٦١) وفيه عبد الملك بن محمد الصفانى: ضعيف.

أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم (٥)
أما الأولية والآخرية التي نص الله عليها في قوله :

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد : ٣]

فقد وصف بعض المخلوقين أيضاً بالأولية والآخرية قال :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [المرسلات : ١٦، ١٧]

ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من ذلك لائق بجلاله وكماله كما أن للمخلوقين أولية وآخرية مناسبة لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم .

ووصف نفسه بأنَّه واحدٌ قال :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة : ١٦٣]

ووصف بعض المخلوقين بذلك قال :

﴿ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ [الرعد : ٤]

ووصف نفسه بالغنى قال :

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : ٢٤]

﴿ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٨]

﴿ فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن : ٦]

---

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٦) وهو حديث حسن رجاله ثقات ما خلا إسماعيل بن بشر بن منصور وهو صدوق تكلم في القدر كما قال الحافظ .

ووصف بعض المخلوقين بالغنى قال:

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ [النساء: ٦]

﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٢]

فهذه صفات السلب جاء في القرآن وصف الخالق والمخلوق بها ولا شك أن ما وصف به الخالق منها لائق بكماله وجلاله وما وصف به المخلوق مناسب لحاله وفنائه وعجزه وافتقاره. ثم نذهب إلى الصفات السبع التي يسمونها المعنوية والتحقيق: إن عدّ الصفات السبع المعنوية التى هى كونُهُ تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً لا وجه له لأنها في الحقيقةِ إنما هى كيفية الإتصاف بالمعاني السبع التي ذكرنا ومن عدّها من المتكلمين عدُّوها بناء على ثبوتِ ما يُسَمُّونَهُ الحال المعنوية التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة والتحقيق:

إن هذه خرافة وخيال. وإن العقل الصحيح لا يجعل بين الشىء ونقيضهِ واسطة البتة فكل ما ليسَ بموجودٍ فهو معدوم قطعاً وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعاً ولا واسطة البتة كما هو معروف عند العقلاء فإذا كنّا قد مثلنا لكونه قادراً وحياً ومريداً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً لما جاء فى القرآنِ من وصف الخالقِ بذلكَ وما جاء في القرآنِ من وصفِ المخلوقِ بذلك وبينا أنَّ صفةَ الخالقِ لائقة بكمالهِ وجلالهِ وأنَّ صفة المخلوقِ مناسبة لحالهِ وفنائهِ وعجزهِ وافتقارهِ فلا داعي لأن ننفي وصف ربِ السمواتِ والأرضِ لئــلا نُشْبِهَـهَا بصفاتِ المخلوقينَ بل يلزم أنْ نُقِرَّ بوصفِ اللّهِ ونؤمنُ بهِ في حالِ كوننا مُتَنَزِّهينَ له عن مشابهة صفة المخلوقِ وهذه صفات الأفعال جاء في القرآنِ بكثرة وصف الخالق بها ووصف المخلوق ولا شك أن ما وصِفَ به الخالق منها مخالف لِمَا وُصِفَ به المخلوق كالمخالفةِ التي بين ذات الخالق وذات المخلوق، ومن ذلك أنه وصف نفسه جل وعلا بصفة الفعل التي هي أنه يرزق خلقه قال جل وعلا:

﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾

[الذاريات: ٥٧، ٥٨]

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾

[سبأ: ٣٩]

ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق قال :

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾

[النساء: ٨]

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾

[النساء: ٥]

﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه المخلوق كمخالفة ذات الله لذات المخلوق. ووصف نفسه جل وعلا بصفة الفعل الذى هو **العمل** قال :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾

[يس: ٧١]

ووصف المخلوقين بصفة الفعل التى هى العمل قال :

﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٦]

ولا شك أنَّ مَا وُصِفَ الله بهِ من هذا الفعلِ منافٍ لِمَا وُصفَ بهِ المخلوق مخالف له كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوقِ.

وَوَصَفَ نَفسه بِأَنَّهُ **يُعَلِّمُ** خَلقَهُ :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ١:٤]

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٣:٥]

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[النساء: ١١٣]

ووصف بعض خلقه بصفة الفعل التى هى التعليم أيضاً قال:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الجمعة: ٢]

وجمع المثالين في قوله:

﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤]

ووصف نفسه جل وعلا بِأَنَّهُ يُنَبِّيءُ وَوَصَفَ المخلوقَ بِأَنَّهُ يُنَبِّيءُ وَجَمَعَ بينَ الفعلِ في الأَمْرَينِ في قولِهِ جلَّ وعلا:

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[التحريم: ٣]

ولا شكَ أنَّ مَا وُصِفَ الله بِهِ مِنْ هذا الفِعْلِ مُخَالِفٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ مِنْهُ الْعَبْد كمخالفةِ ذاتِ الخالقِ لذاتِ المخلوقِ وَوَصَفَ نَفْسَهُ بصفةِ الفِعْلِ

الَّذِي هو الإيتاء قال جل وعلا:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]

﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود: ٣]

ووصف المخلوقين بالفعل الذى هو الإيتاء قال:

﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾ [النساء: ٢٠]

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤]

ولا شكَ أنَّ مَا وُصِفَ الله بِهِ مِنْ هَذا الفِعْلِ مُخَالِفٌ لِمَا وُصِفَ بِهِ العَبْدُ مِنْ هَذا الفِعْلِ كمخالفةِ ذاتهِ لذاتهِ. ثُمَّ نَتَكَلَّم علَى الصفاتِ الجامعةِ كالعلوِ والعِظَمِ والكِبْرِ والمُلكِ وَالتَّكَبُّر وَالجَبَرُوتِ والعزةِ والقوةِ وما جرى مجرى ذلك من الصفات الجامعة فنجدُ الله وَصَف نَفْسَهُ بالعلوِ والكبرِ والعِظَم قال فى وَصْفِ نَفْسِهُ بالعلو والعظم:

﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال في وَصف نفسه بالعلو والكبر:

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٣٤].

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد: ٩].

ووصف بعض المخلوقين بالعظم قال:

﴿ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣].

﴿ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء: ٤٠].

﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣].

ووَصَفَ بعضَ المخلوقين بالعلو قال:

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧].

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٠].

ولا شك أنَّ ما وُصِفَ الله به من هذه الصفات الجامعةِ **كالعلو والكبرِ والعِظَم** منافٍ لما وُصِفَ بِهِ المخلوقَ مِنْهَا كمخالفة ذاتِ الخالقِ لذاتِ المخلوقِ فلا مناسبة بين ذاتِ الخالقِ والمخلوقِ كما لا مناسبةَ بيَنَ صفةِ الخَالقِ وصفة المخلوق.

وَوصف نفسه **بالمُلك** قال:

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ [الجمعة: ١].

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥].

ووصف بعض المخلوقين بالملك قال:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ [يوسف: ٤٣].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ [يوسف : ٥٤].

﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف : ٧٩].

﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦].

ولا شك أنَّ لله جلَّ وعلاَ مُلكاً حقيقياً لائقاً بكمالهِ وجلالهِ. كما أن للمخلوقين ملكاً مناسباً لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بأنه جَبَّارٌ مُتَكَبِّرٌ قال :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾

إلى قوله : ﴿ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٢، ٢٣].

ووصف بعض المخلوقين بأنه جبار متكبر قال :

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٠].

﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠].

﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٥].

ولا شك أنَّ ما وُصِفَ به الخالق من هذه الصفات منافٍ لما وُصف به المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوقِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ جلَّ وعَلاَ بالعزة قال :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٠]

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ [ص : ٩]

وصف بعض المخلوقين بالعزة قال :

﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ [يوسف : ٥١].

﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٣].

وجمع المثالين فى قوله : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[المنافقون : ٨].

ولا شك أنَّ ما وُصِفَ بِهِ الخَالِق مِنْ هَذَا الوَصْفِ مُنَافٍ لِمَا وُصِفَ بِهِ المَخْلُوق كمخالفةِ ذاتِ الخالقِ لذاتِ المخلوقِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ جَلَّ وَعَلا بالقُوَّةِ قال :

﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٧، ٥٨].

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج : ٤٠] .

وَوَصَفَ بعض المخلوقين بالقوة قال :

﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود : ٥٢].

وقال جل وعلا :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾

[الروم : ٥٤].

وجمع بين المثالين فى قوله :

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت : ١٥].

فصل

ثُمَّ إِنَّنَا نَتكلمُ عَلَى الصِفَاتِ التى اخْتَلَفَ فِيها المُتَكَلِمُونَ. هل هى صِفاتُ فِعلٍ أو صفاتُ معنى. والتحقيق : أنَّها صفاتُ معانٍ قائمة بذاتِ الله جَلَّ وَعَلا. **كالرأفةِ والرحمةِ والْحلْمِ.** فنجده جل وعلا وَصَفَ نَفْسَهُ بأنَّه رؤوفٌ رحيمٌ قال :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ٧].

ووصف بعض المخلوقين بذلك قال فى وصف نبينا صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[التوبة : ١٢٨].

ووصف نفسه بالحلم، قال :

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾

[الحج : ٥٩].

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾

[البقرة : ٢٣٥].

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾

[البقرة : ٢٦٣].

ووصف بعض المخلوقين بالحلم قال :

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١].

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤].

ووصف نفسه بالمغفرة قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣].

ووصف بعض المخلوقين بالمغفرة قال :

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤١].

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٣].

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾

[الجاثية : ١٤].

ولا شكَّ أنَّ ما وُصِفَ بِهِ خالق السمٰواتِ والأرض من هذه الصفاتِ أنّه حقٌّ لائقٌ بكمالِهِ وجلالِهِ لا يجوزُ أنْ يُنْفى خَوْفاً مِنْ التشبيهِ بالخلقِ. وأنَّ ما وُصِفَ بِهِ الخَلْقُ مِنْ هذه الصفاتِ حقٌّ مناسبٌ لحالِهِم وفنائِهِم جزِهم وافتقارِهِم.

وعلى كل حال فلا يجوز للإنسان أن يأتى إلى(٦) وصف أثبته الله جل وعلا لنفسه فينفي هذا الوصف عن الله متهجماً على ربِّ السمواتِ والأرضِ مدعياً عَلَيْهِ أنَّ هذا الوصف الذى تمدح به أنَّه لا يليقُ به وأنه هو ينفيه عنه ويأتيه بالكمال من كيسه الخاص فهذا جنون وهوس ولا يذهب إليه إلا من طمس الله بصائرهم.

وسنضرب لكم لهذا مثلاً يتبين به الكل لأن مثلاً واحداً من آيات الصفات ينسحب على الجميع إذ لا فرق بين الصفات لأن الموصوف بها واحد. وهو جل وعلا لا يشبهه شيء من خلقه في شيء من صفاته البتة. فهذه صفة الاستواء التي كثر فيها الخوض ونفاها كثير من الناس بفلسفة منطقية وأدلة جدلية سنتكلم في آخر البحث على وجوه إبطالها كلاماً

---

(٦) بالأصل (أن يتنطع) والذى أثبتناه حتى يستقيم المعنى.

يَخُصُّ الَّـذِين دَرَسُوا المنطقَ والجدل ليتبين كيف استدل أولَئِكَ بالباطل وأبْطَلُوا بهِ الحقَّ وأحقوا به الباطلَ . فهذه صِفةُ الاستواء تجرأ الآلافُ ممن يَدَّعُونَ الإسلامَ وَنَفوها عَن ربّ السمواتِ والأرضِ بأدلةٍ منطقية يركبون فيهَا قياساً استثنائياً مُركباً من شرطيةٍ متصلةٍ لزوميةٍ واستثنائيةٍ يستثنون فيه نقيض التالى ينتجون في زعمهم الباطل نقيض المقدم بناء على أن نفى اللازم يقتضى نفى الملزوم فيقولون مثلاً لو كان مستوياً على عرشه لكان مشابهاً للخلق لكنه لم يكن مشابهاً للخلق فينتجون ، ليس مستوياً على العرش ، وعظم هذا الإفتراء كما ترى .

ـ فصــل ـ

١ ـ اعلموا أنَّ هذه الصفةِ التى هى صفةُ الإستواءِ صفةُ كمالٍ وجلالٍ تمدحَ بها ربُّ السمواتِ والأرضِ والقرينة على أنها صفةُ كمالٍ وجلالٍ أنَّ الله ما ذكرها في موضعٍ من كتابه إلا مصحوبة بما يُبْهر العقول من صفات جلاله وكماله التي هى منها وسنضرب مثلاً لذلك بذكر الآيات : .

فأول سورة ذكر الله فيها صفة الاستواء حسب ترتيب المصحف سورة الأعراف قال :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[الأعراف : ٥٤] .

فهل لأحد أن ينفى شيئاً من هذه الصفات الدالة على الجلالِ والكمالِ .

٢ ـ الموضع الثاني في سورة يُونُس قال :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ *
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾

[يونس: ٣ ـ ٦].

فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفاتِ الدالةِ على هذا من الكمالِ والجلالِ.

٣ ــ الموضع الثالث في سورة الرعد في قوله جلا وعلا:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم
بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا
وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ

لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

[الرعد: ٢ – ٤].

وفى القراءة الأخرى :

﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

[الرعد: ٤]

فهل لأحد أن ينفى شيئاً من هذه الصفاتِ الدالةِ على الجلالِ والكمالِ .

٤ – الموضع الرابع فى سورة طه :

﴿ طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى * ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

[طه: ١ – ٨].

فهل لأحد أن ينفى شيئاً من هذه الصفات الدالة على الجلالِ والكمالِ .

٥ ـــ الموضع الخامس فى سورة الفرقان فى قوله :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا * ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾

[الفرقان : ٥٨ ـــ ٥٩] .

فهل لأحد أن ينفى شيئاً من هذه الصفات الدالة على هذا من الكمال والجلال .

٦ ـــ الموضع السادس فى سورة السجدة فى قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ * ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ

فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

[السجدة: ٢ : ٩].

فهل لأحد أن ينفى شيئاً من هذه الصفات الدالة على هذا من الجلال والكمال .

٧ — الموضع السابع فى سورة الحديد فى قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٣ : ٤].

فالشاهدُ أنَّ هذه الصفة التي يظنُّ الجاهلونَ أنَّها صفةُ نقصٍ ويتهجمونَ على رب السمواتِ والأرضِ بأنَّه وَصَفَ نَفْسَهُ صفةَ نقصٍ ثُمَّ يُسَبِّبُونَ عن هذا أنْ يَنْفُوهَا وَيُؤَوِّلُوهَا مَعَ أنَّ الله جلَّ وعلا تَمَدَّحَ بها وجعلها من صفاتِ الجلالِ والكمالِ مقرونة بما يبْهرُ العقولَ من صفاتِ الجلالِ والكمالِ هذا يدلُ على جهلٍ وَهَوَسِ مَنْ يَنفى بعضَ صفاتِ الله جلَّ وعلا بالتأويلِ .

ثم اعلموا أن هذا الشيء الذى يقال له التأويل الذى فتن به الخلق وضل به الآلافُ من هذه الأمةِ اعلموا أن التأويلَ يُطلقُ مشتركاً بين ثلاثة معان :

١ ـــ يطلق على من تؤول إليه حقيقةُ الأمرِ في ثاني حال وهذا هو معناه في القرآن نحو:

﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [يونس: ٣٩].

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ ﴾

[الأعراف: ٥٣].

ومعنى التأويل في الآيات المذكورة ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال.

٢ ـــ ويطلق التأويل بمعنى التفسير وهذا قول معروف كقول ابن جرير: القول في تأويل قوله تعالى: كذا أي تفسيره.

٣ ـــ أما في اصطلاح الأصوليين: فالتأويل هو صرفُ اللَّفْظِ عَنْ ظاهِرِهِ المُتَبَادر مِنْه إلى محتملٍ مرجوحٍ لدليلٍ.

وصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه له عند علماء الأصول ثلاث حالات:

(أ) إما أن يصرفَهُ عن ظاهرِهِ المتبادر منه لدليل صحيح من كتابٍ أو سنةٍ وهذا النوع من التأويلِ صحيحٌ مقبولٌ لا نزاع فيه ومثالُ هذا النوع ما ثبت عن النبيّ ﷺ أنّه قال: [٧]: «الجَارُ أَحَق بِسَقَبِهِ» [٨]. فظاهر

(٧) في المطبوع (بصقبه) والتصحيح من كتب السنة.

(٨) أخرجه البخاري (٤/٤٣٧)، (١٢/٣٤٥)، (١٢/٣٤٨، ٣٤٩) وأبو داود (٣٥١٦) وابن ماجه (٢٤٩٨) والدارقطني (٤/٢٢٤) من حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ وأخرجه النسائي (٧/٣٢٠) وأحمد (٤/٣٨٩، ٣٩٠) والطيالسي (ص ١٣١) وابن الجارود في المنتقى (٦٤٥) عن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه.

هذا الحديث ثبوت الشفعة للجار وحمل هذا الحديث على الشريك المقاسم حمل اللفظ على محتمل مرجوح غير ظاهر متبادر إلا أن حديث جابر الصحيح « **فإذا ضربت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة** »[9] دل على أن المراد بالجار الذى هو أحق بسقبه[10] خصوص الشريك المقاسم فهذا النوع من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل واضح يجب الرجوع إليه من كتاب وسنة وهذا التأويل يسمى تأويلاً صحيحاً وتأويلاً قريباً ولا مانع منه إذا دل عليه النص.

(ب) الثاني هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده المجتهد دليلاً وهو فى نفس الأمر ليس بدليل فهذا يسمى تأويلاً بعيداً ويقال له فاسد ومثل له بعض العلماء بتأويل الإمام أبى حنيفة رحمه الله لفظ امرأة في قوله صلى الله عليه وسلم: « **أَيُّمَا امرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ بَاطِلٌ** »[11]. قالوا حَمْلُ هذا على خصوص المكاتبة تأويل بعيد لأنه صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لأن (أَيُّ) فى قوله: (أَيُّ امرأةٍ) صيغة عموم وأُكِّدَتْ صيغة العموم (بما) المزيدة للتوكيد فَحَمْلُ هذا على صورة نادرة هى المكاتبة حمل اللفظ على غير ظاهره لغير دليل جازم يجب الرجوع إليه.

---

(٩) أخرجه البخارى (٥/ ١٣٤)، (٤/ ٤٠٧)، (٤/ ٤٣٦)، (١٢/ ٣٤٥) ومسلم (٥/ ٥٧) وأبو داود (٤/ ٣٥) وابن ماجه (٢٤٩٩) والطحاوى فى شرح معانى الآثار (٢/ ٢٦٦) وابن الجارود (٦٤٣) وأحمد (٣/ ٢٩٦، ٢٩٩) والنسائى (٧/ ٣٢٠) والدارمي (٢٦٣١) عن جابر رضى الله عنه.

(١٠) فى المطبوع بصقبه.

(١١) صحيح أخرجه الترمذى (١١٠٢) وابن ماجه (١٨٧٩) وابن حبان (١٢٤٨) موارد، والدارمى (٢١٩٠) والحاكم (١/ ١٦٨) والبيهقى (٧/ ١٢٥) عن عائشة رضى الله عنها.

(ج) أما حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل: فهذا لا يسمى تأويلاً في الاصطلاح بل يسمى لعباً لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧]

قالوا عائشة ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى مُحتملاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان كقولهم استوى بمعنى استولى (١٢) فهذا لايدخل في اسم التأويلِ لأنَّهُ لا دليلَ عليه البتة وإنما يسمى في اصطلاح أهل الأصول لعباً. لأنه تلاعب بكتابِ الله جل وعلا من غير دليل ولا مستند فهذا النوع لا يجوز لأنَّهُ تهجم على كلامِ ربِّ العالمين والقاعدةِ المعروفةِ عند علماءِ السلفِ أنَّه لا يجوز صرف شيء من كتابِ الله ولا سنةَ رسولهِ عن ظاهره المبتادر منه إلا بدليلٍ يجبُ الرجوعَ إليهِ.

---

(١٢) استدل الأشاعرة الكلابية على تأويل قوله تعالى (ثم استوى على العرش) بقولهم استولى ببيت لا يعرف قائله، كما أنه لم يثبت لغة استوى، بمعنى استولى قال شيخ الإسلام، ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٤٦/٥): (السابع): أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

ثم استوى بشر على العراق — من غير سيف ولا دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروا — وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده؟...

وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر السمعاني في كتابه (الإفصاح).

قال: سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا مالا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها — وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله...

فحينئذ حمله على مالا يعرف حمل باطل..

(الثامن) أنه روى عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر والله سبحانه لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال ما فامتنع أن يكون بمعنى استولى وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (١٢٧/٢ / ١٣٩) فقد فند شبهاتهم وردها فأبدع رحمه الله.

– فصـــل –

وكلّ هذا الشر– فاسمعوا أيها الإخوان نصيحة مشفق– إنما جاء من مسألة وهى نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفة من صفات الكمال أثنى الله بها على نفسه كنزولِهِ إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الأخير[13] وكاستوائه على عرشه[14] وكمجيئه يوم القيامة[15] وغير ذلك من صفات الجلال والكمال

---

(١٣) أخرجه البخارى (٣/٢٩)، (١١/١٢٨)، (١٣/٤٦٤) ومسلم (٢/١٧٥).
عن أبى هريرة رضى الله عنه –أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة، حين يمضى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر. لفظ مسلم.

وأبو داود (١٣١٥) والترمذى (٣٤٩٨) وابن ماجه (١٣٦٦) ومالك (١/٢١٤) وابن نصر فى قيام الليل (٣٥) –والبيهقى فى السنن (٣/٢) والطيالسى فى مسنده (٢٥١٦) وابن خزيمة فى التوحيد (ص١٢٥ وما بعدها) والآجرى فى الشريعة (ص٣٠٦) والبيهقى فى الاعتقاد– تحقيق أحمد عصام الكاتب (ص١١٧) والأسماء (ص٤٤٩ وما بعدها) والدارمي فى السنن (١/٣٤٦ –٣٤٨) وألف شيخ الإسلام رسالة فى شرح هذا الحديث. والذهبى فى العلو للعلى الغفار كما فى المختصر (رقم ٧٨) وأبو عوانة (٢/٢٨٨، ٢٨٩) وأحمد فى المسند (٢/٤١٩)، (٥٠٤، ٤٨٧، ٢٦٤، ٢٦٧) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

(١٤) ترجم البخارى رحمه الله لذلك بقوله: باب (وكان عرشه على الماء) (هود: ٧)، (وهو رب العرش العظيم) (التوبة: ١٢٩).

قال أبو العالية: استوى إلى السماء: ارتفع. فسواهن: خلقهن. وقال مجاهد: استوى: علا على العرش (١٣/٤٠٣). وقد تقدم للمؤلف رحمه الله ذكر الآيات الدالة على ذلك.

(١٥) أما صفة المجىء فنسوق هذا الحديث الشريف الرائع الذى وصف فيه رسول الله ﷺ

أول ما يخطر في ذهن المسكين أن هذه الصفة تشبه صفة الخلق فيكون قلبه متنجساً بأقذار التشبيه لايقدر الله حقَّ قدره ولا يعظم الله حقَّ عظمته حيث يسبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبهُ صفة المخلوق فيكون فيها أولاً نجس القلب متقذره بأقذار التشبيه فيدعو شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفى صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق فيكون فيها أولاً مشبهاً وثانياً معطلاً ضالاً ابتداءً وانتهاءً متهجماً على رب العالمين ينفى صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق.

ﷺ — وهو أعلم بربه — ربه بأكثر من صفة، وهذا حديث إذا قرأه المؤمن الموحد يستبشر وإذا قرأه الجهميّ فإذا هو قانط عبوس.

فاقرأ أخى حديث رسول الله ﷺ لتزداد إيمانا:

عن أبى سعيد الخدرى قال: قلنا يا رسول الله — هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **«هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا: لا، قال: فأنكم لا تضارون فى رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون فى رؤيتها، ثم قال: ينادى مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغُبرات من أهل الكتاب ثم يُؤتى بجهنم تُعرض كأنها سراب، فيقال لليهود ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون، قالوا: نريد أن تسقينا فيقال اشربوا فيتساقطون فى جهنم، ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون فيقولون نريد أن تسقينا، فيقال اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادى ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسُمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً... [الحديث]..**

أخرجه البخارى واللفظ له (١٣/ ٤٢٠ — ٤٢٢) ومسلم (١/ ١١٥، ١١٦).

وأخرج النسائى طرفا منه (٨/ ١١٢) والآجرى فى الشريعة بقطعة منه (ص ٢٦٠، ٢٦١).

فهذا الحديث الشريف فيه صفات لله عدة فمنها

١٠١ — رؤية المؤمنين الموحدين لربهم يوم القيامة.

واعلموا أن هنا قاعدة أصولية أطبق عليها من يعتد به من أهل العلم وهى أن النبىَّ ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة ولا سيما في العقائد ولا سيما لو مشينا على فرضهم الباطل أن ظاهرَ آياتِ الصفاتِ الكُفْر(١٦) ..

فالنبي ﷺ لم يؤول الاستواء (بالاستيلاء) ولم يؤول شيئاً من هذه التأويلات ولو كان المراد بها هذه التأويلات لبادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيانها لأنه لا يجوز فى حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة فالحاصل أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشبه ويجيب عن جميع الأسئلة وهو: أن الإنسان إذا سَمِعَ وصفاً وَصَفَ بِهِ خالقُ السمواتِ والأرضِ نَفْسَهُ أو وصفهُ بِهِ رسوُله ﷺ امتلأ صدره من التعظيم فيجزم بأن ذلك الوصف بالغٌ من غاياتِ الكمالِ والشرفِ والعلوِ ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهةِ بينه وبين صفاتِ المخلوقينَ فيكونَ القلب منزهاً معظماً له جلَّ وعلا غير متنجس بأقذارِ التشبيه فتكون أرض قلبه

= ٢ — وإثبات المجيء لله تعالى.

٣ — إثبات صفة الصورة لله تعالى.

٤ — إثبات الساق لله تعالى

٥ — وأيضاً فى نهاية الحديث إثبات القبضة لله جل وعلا.

فكل هذه الصفات وما ثبت عن الله أو عن رسول الله ﷺ من صفات غيرها وجب علينا التصديق بها بما يليق بالله بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

وفى هذا الحديث أيضاً نفى الصاحبة والولد عن الله تعالى فجمع بين النفى والإثبات فصلى الله وسلم وبارك على من أوتىّ جوامع الكلم.

(١٦) قال الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين (٣/١٠) عند قوله تعالى فى سورة الكهف — ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً — ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر اهـ منه بلفظ. ص ٢١ وأنظر كتاب العلامة ابن حجر آل بوطامى القاضى بمحكمة قطر فى رد هذه الدعوى الباطلة.

قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التى تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ على غرار:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

والشر كل الشر فى عدم تعظيم الله وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق فيضطر المسكين أن ينفى صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة. ولا بد فى هذا المقام من نقط يتنبه إليها طالب العلم:

أولاً: أن يعلم طالبُ العلم أنَّ جميعَ الصفاتِ من بابٍ واحدٍ إذ لا فرقَ بينها البتة لأن الموصوف بها واحد وهو جَلَّ وعلا لا يشبه الخلق فى شيء من صفاتهم البتة فكما أنكم أثبتم له سمعاً وبصراً لائقين بجلاله لا يشبهان شيئاً من أسماع الحوادثِ وأبصارِهم فكذلك يلزم أن تُجروا هذا بعينه في صفةِ الاستواء والنزولِ والمجيء إلى غير ذلك من صفاتِ الجلالِ والكمالِ التى أثنى الله بها على نفسه.

واعلموا أن رب السموات والأرضِ يستحيل عقلاً أن يصف نفسه بما يلزمه محذور أو يلزمه محال أو يؤدى إلى نقص. كل ذلك مستحيل عقلاً. فإن الله لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفاتِ المخلوقين على حَدّ قوله:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: أن يعلموا أن الصفات والذات من باب واحد فكما أننا نثبت ذات الله جل وعلا إثبات وجود وإيمان لا إثبات كيفية مكيفة فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات وإيمان ووجود لا إثبات كيفية وتحديد.

واعلموا أن آيات الصفات كثيرٌ من الناس يطلق عليها اسم المتشابه وهذا من جهة غلط ومن جهةٍ قد يسوغ كما يُثْبتُه الإمامُ مالك بنُ أنسٍ.

أما المعاني فهي معروفة عند العرب كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله .

الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة[١٧] .
كذلك يقال فى النزول : النزول غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة ، واطرده في جميع الصفات لأن هذه الصفات معروفة عند العرب إلا أن ما وصف به خالق السموات والأرض منها أكمل وأجل وأعظم من أن يشبه شيئاً من صفات المخلوقين كما أن ذات الخالق جل وعلا حق والمخلوقون لهم ذوات وذات الخالق جل وعلا أكمل وأنزه وأجل من أن تشبه شيئاً من ذوات المخلوقين . فعلى كل حال . الشر كل الشر فى تشبيه الخالق بالمخلوق وتنجيس القلب بقذر التشبيه فالإنسان المسلم إذا سمع صفةً وُصِفَ بها الله أول ما يجب عليه أن يعتقدَ أن تلكَ الصفةِ بالغةٍ من الجلالِ والكمالِ ما يقطعُ أوهامِ علائقِ المشابهة بينها وبين صفات المخلوقينَ فيكون أرضِ قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه على نحو:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

---

(١٧) أخرجه الدارمي فى الرد على الجهمية (ص٣٣) واللالكائى (٦٦٤) والذهبى فى العلو للعلى الغفار . كما فى المختصر رقم (١٣٢) وكذا أخرجه ابن عبد البر فى التمهيد كما قال ابن القيم فى اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (ص٧٥) .

ـ فـصـل ـ

وهنا سؤال لا بد من تحقيقه لطالب العلم أولاً : أعلموا أن المقرر في الأصول أن الكلام إن دل على معنى لا يحتمل غيره فهو المسمى نصاً كقوله مثلاً :

﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فإذا كان يحتمل معنيين أو أكثر فلا يخلو من حالتين إما أن يكون أظهر فى أحد الاحتمالين من الآخر وإما أن يتساوى بينهما فإن كان الاحتمال يتساوى بينهما فهذا الذى يسمى في الاصطلاح المجمل كما لو قلت : (عَدَا اللصوصُ البارحةَ على عينِ زيدٍ) فإنه يحتمل أن تكون عينه الباصرة عَوَّرُوهَا أو عينه الجارية غوَّرُوها أو عين ذهبه وفضته سرَقُوها فهذا مجمل. وحكمُ المجملِ أنْ يتوقف عنه إلا بدليل على التفصيل. أما إذا كان نصاً صريحاً فالنص يعمل به ولا يعدل عنه إلا بثبوت النسخ.

فإذا كان أظهر فى أحد الاحتمالين فهو المسمى بالظاهر. ومقابله يسمى (محتملاً مرجوحاً) والظاهر يجب الحمل عليه إلا لدليلٍ صارفٍ عنه كما لو قلت : رأيتُ أسداً فهذا مثلاً ظاهر في الحيوان المفترس. محتمل في الرجل الشجاع. وإذاً فنقول :

فالظاهرُ المتبادرُ من آياتِ الصفاتِ من نحو قوله :

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠].

وما جرى مجرى ذلك . هل نقول الظاهر المتبادر من هذه الصفة هو مشابهة الخلق حتى يجب علينا أن نقول ونصرف اللفظ عن ظاهره أو ظاهرها المتبادر منها تنزيه رب السموات والأرض حتى يجب علينا أن نقره على الظاهر من التنزيه (١٨) .

الجواب : أن كل وصف أسند إلى رب السموات والأرض فظاهره المتبادر منه عند كل مسلم هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق فاقراره على ظاهره هو الحق وهو تنزيه رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق في شيء من صفاته فهل ينكر عاقل أن المتبادر للأذهان السليمة أن الخالق ينافى المخلوق في ذاته وسائر صفاته لا والله لا يعارض فى هذا إلا مكابر ثم بعد هذا البحث الذى ذكرنا نحب أن نذكر كلمة قصيرة لجماعة قرءوا في المنطق والكلام وظنوا نفى بعض الصفات من أدلة كلامية كالذى يقول مثلاً : لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث لكنّه غير مشابه للحوادث ينتج : فهو غيرُ مستوٍ على العرشِ هذه النتيجة الباطلة تضاد سبع آيات من المحكم المنزل ولكننا الآن نقول فى مثل هذا على طريق المناظرة والجدل المعروف عند المتكلمين . نقول :

---

(١٨) وردت أحاديث كثيرة تثبت صفة اليد لله جل وعلا على ما يليق بجلاله ونحن نورد حديثا واحداً يثبت هذه الصفة لله تعالى كما يليق بجلاله وهى بحق لا كالبشر فانظر إلى ما أخرجه الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟

فهذا حديث شريف يثبت صفة اليد لله على ما يليق بالله تعالى وهل من البشر من يستطيع أن يقبض الأرض بيمينه ؟ وهل رأينا جارحة بهذه الصفة ؟ والله صفات الله كما تليق به كمالا وجلالا وعظمة .

أخرجه البخارى (٨/٥٥١) ، (١١/٣٧١) ، (١٣/٣٦٧) ومسلم (٨/١٢٦) وأحمد (٢/٣٧٤) والآجرى فى الشريعة (ص٣٢٠) وابن خزيمة فى التوحيد (ص٤٨) والبيهقى فى الأسماء والصفات (٣٢٣) وابن جرير فى جامع البيان (٢٤/١٨—١٩) وابن ماجه (١٩٢) وابن أبى عاصم فى السنة (٥٤٨ ، ٥٤٩) .

هذا قياس استثنى فيه نقيض التالى فأنتج منه نقيض المقدم حسب ما يراه مقيم هذا الدليل ونحن نقول:

إنه تقرر عند عامة النُّظّار أن القياسَ الاستثنائى المركب من شرطية متصلة لزومية يتوجه عليه القدح من ثلاث جهات:

١ — يتوجه عليه من جهة استثنائيته.
٢ — ويتوجه عليه من جهة شرطيته — إذا كان الربط بين المقدم والتالى ليس بصحيح.
٣ — ويتوجه عليه القدح من جهتها معاً.

وهذه القضية كاذبة الشرطية فالربط بين مقدمها وتاليها كاذب كذباً بحتاً ولذا جاءت نتيجتها مخالفة لسبع آيات.

وايضاحه أن نقول:

قولُكُم لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث هذا الربط بين لو واللام كاذب كاذب بل هو مستوٍ على عرشه كما قال من غير مشابهةٍ للحوادث كما أنَّ سائرَ صفاته واقعةٌ كما قال من غير مشابهة للخلق ولا يلزم من استوائه على عرشه كما قال أن يشبه شيئاً من المخلوقين في صفاتهم البتة بل استواؤه صفة من صفاته وجميع صفاته منزهة عن مشابهة الخلق كما أن ذاته منزهة عن مشابهة ذوات الخلق ويطرد هذا في مثل هذا. وعلى كل حال فالجواب عن شيء واحد من هذا يطرد في الكل.

[خاتمة]

وآخر ما نختم به هذه المقالة انا نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله وأن تلتزموا بثلاث آيات من كتاب الله .

الأولى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١٢] .

فتنزهوا رب السموات والأرض عن مشابهة الخلق .

الثانية : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

فتؤمنوا بصفات الجلال والكمال الثابتة بالكتاب والسنة على أساس التنزيه كما جاء :

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

بعد قوله :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١]

الثالثة : أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل وهذا نصَّ الله عليه فى سورة (طه) حيث قال :

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾

[طه : ١١٠] .

فقوله: (يُحِيطُونَ بِهِ) فعل مضارع والفعل الصناعى الذى يسمى بالفعل المضارع وفعل الأمر والفعل الماضي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن كما قال ابن مالك في الخلاصة:

المصدر اسم ما سوى الزمان من   مدلولي الفعل كأمن من أمن

وقد حرر علماء البلاغة فى مبحث الاستعارة التبعية أنه ينحل عن مصدر وزمن ونسبة فالمصدر كامن في مفهومه إجماعاً فيحيطون في مفهومها (الإحاطة) فيتسلط النفى على المصدر الكامن في الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح فيصير المعنى لا إحاطة للعلم البشرى برب السموات والأرض فينفى جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها فالإحاطة المنسدة للعلم منفية عن رب العالمين فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء ولا صفة يد(١٩) ولا أصابع(٢٠) ولا عجب(٢١) ولا ضحك(٢٢). لأن هذه الصفات كلها من باب واحد فما وصف الله به نفسه منها فهو حق وهو لائق بكماله وجلاله لا يشبه شيئاً من صفات

---

(١٩) سبق مثال من الحديث على صفة اليد.

(٢٠) هذه الصفة أيضا كغيرها خاطب رسول الله ﷺ صحابته ولم يصرفها عن ظاهرها مرة واحدة وإنما أراد وصف ربه سبحانه وتعالى بها — وهو أعلم بربه من أفراخ اليونان — فوجب الإيمان بها كما جاءت بغير تأويل ولا نعرف كيفيتها فمعرفة الكيف متوقفة على معرفة الذات ولكن نقول هي صفة كما تليق بجلال الله وعظمته.

عن ابن مسعود: أن يهوديا جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد: إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك — فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ **(وما قدروا الله حق قدره)** وفى رواية قال ابن مسعود رضى الله عنه فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً...

أخرجه البخارى (١٣/٣٩٣)، (١٣/٤٣٨)، (١٣/٤٧٤)، (٨/٥٥٠) ومسلم (٨/١٢٥، ١٢٦) والترمذى (٣٢٣٨) وبنحوه (٣٢٣٨) والزيادة موقوفة (٣٢٣٩) وابن أبى عاصم فى السنة (٥٤١ — ٥٤٤) والبيهقى فى الأسماء والصفات (ص٣٣٤) وأحمد فى المسند (١/٤٢٩، ٤٥٧) والآجرى فى الشريعة (ص٣١٨، ٣١٩). =

= وقد جعل بعضهم أن هذا الحديث من قول اليهودى واليهود مجسمة فجعل من يصف ربه بهذه الصفة مجسماً وقالوا فى قول عبدالله رضى الله عنه أنه موقوف عليه ونحن نقول لأمثال هؤلاء أن الحديث موصول كما قطع به الحافظ (١٣/ ٣٩٧) ووصله مسلم والنبى ﷺ لا يضحك من الكفر بربه ـ وهل التجسيم إلا كفر بالله تعالى ؟ ـ ثم نقول أيضاً إن هذه الصفة ألا وهى صفة الأصابع قد جاءت فى غيرما حديث عن رسول الله ﷺ يثبت لله الأصابع على ما يليق بجلاله وعظمته من ذلك ما رواه الإمام مسلم وغيره.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله ﷺ ـ اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك...

أخرجه مسلم (٨/ ٥١) وأحمد (٢/ ١٦٨) والآجرى فى الشريعة (ص٣١٦) وابن أبى عاصم (٢٢٢)...

وروى من حديث أنس بن مالك والنواس بن سمعان وأم سلمة وعائشة رضى الله عنهم وانظر الآجرى (ص٣١٦، ٣١٧) والسنة لابن أبى عاصم (٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥) وابن ماجه (١٩٩)...

وهناك أحاديث أخر تثبت هذه الصفة لله كما يليق بجلاله ولولا مخافة الإطالة لذكرناها..

(٢١) وهذه الصفة أيضاً وصف بها رسول الله ﷺ ربه ـ وهو أعلم بربه ـ فيجب على كل مسلم أن يصف ربه بها تصديقا لرسول الله من غير كيف وكما تليق بجلالة وعظمته..

عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ : فقال : إنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه : فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله وانطلق إلى رحله فقال : لامرأته هل عندك شىء قالت : لا إلا قوت صبيانى قال فعلليهم بشىء فإذا دخل ضيفنا فأصبحى السراج وأريه أنَّا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومى إلى السراج حتى تطفئيه قال : فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبى ﷺ فقال : قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة ا. هـ واللفظ لمسلم ووقع تصحيف فى نسخة دار الآفاق الجديدة فأثبت (فأطفىء) بدل من قوله (فأصبحى) وأثبتناه لموافقة الأصول الأخرى وسياق المعنى.

أخرجه البخارى (٧/ ١١٩)، (٨/ ٦٣١) ومسلم (٦/ ١٢٧) وابن أبى عاصم فى السنة (٥٧٠). =

المخلوقين وما وصف به المخلوقون منها فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم وهذا الكلام الكثير أوضحه الله فى كلمتين :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ تنزيه بلا تعطيل .

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

إيمان بلا تمثيل . فيجب من أول الآية :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١]

التنزيه الكامل الذى ليس فيه تعطيل ويلزم من قوله :

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

الإيمان بجميع الصفات الذى ليس فيه تمثيل فأول الآية تنزيه وآخرها إيمان ومن عمل بالتنزيه الذى في

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١]

= (٢٢) صفة الضحك مما يؤمن بها كل من اتبع ولم يبتدع وقد ورد بها أحاديث كثيرة جداً كلها يثبت النبى ﷺ لربه هذه الصفة فتؤمن بها تصديقاً لرسول الله كما يليق بجلال الله وعظمته ...

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله يضحك إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر. كلاهما دخل الجنة . يقاتل هذا فى سبيل الله فيستشهد ثم يتوب الله على قاتله ، فيسلم ، فيقاتل فى سبيل الله فيستشهد) . لفظ ابن ماجه .

أخرجه البخارى (٦/ ٣٩، ٤٠) .. وابن ماجه (١٣١) ومالك (٢/ ٤٦٠) وحم (٢/ ٣١٨، ٤٦٤) والنسائى (٦/ ٣٨، ٣٩) فى الكبرى كما فى تحفة الإشراف (١٠/ ١٩٤) والآجرى فى الشريعة (ص٢٧٧ ، ٢٧٨) ..

والإيمان الذى فى قوله :

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

وقطع النظر عن إدراك الكنه والكيفية المنصوص في قوله :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠]

خرج سالماً .

وقد ذكرت لكم مراراً أنى أقول :

هذه الأسس الثلاثة التى ركزنا عليها البحث وهي :

١ ــ تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

٢ ــ والإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها وعدم التهجم على الله بنفى ما أثبته لنفسه .

٣ ــ وقطع الطمع عن إدراك الكيفية . لو (متم يا إخوان) وأنتم على هذا المعتقد . أترون الله يوم القيامة يقول لكم لم نزهتمونني عن مشابهة الخلق ويلومكم على ذلك لا وكلا والله لا يلومكم على ذلك .

أترون أنه يلومكم على أنكم آمنتم بصفاته وصدقتموه فيما أثنى به على نفسه ويقول لكم لم أثبتم لى ما أثبته لنفسى أو أثبته لى رسولي ؟ لا والله لا يلومكم على ذلك ولا تأتيكم عاقبة سيئة من ذلك . كذلك لا يلومكم الله يوم القيامة ويقول لكم :

لم قطعتم الطمع عن إدراك الكيفية ولم تحددونى بكيفية مدركة .

ثم إنا نقول : لو تنطع متنطع . وقال : نحن لا ندرك كيفية (نزول) منزهة عن نزول الخلق ولا ندرك كيفية (يد) منزهة عن أيدي الخلق ولا

ندرك كيفية (استواء) منزهة عن استواءات الخلق فبينوا لنا كيفية معقولة منزهة تدركها عقولنا.

فنقول أولاً: هذا السؤال الذى قال فيه مالك بن أنس: والسؤال عن هذا بدعة ولكن نجيب ونقول:

أتعرف (٢٣) أيها المتنطع السائل الضال كيفية الذات المقدسة الكريمة المتصفة بصفة النزول وصفة اليد وصفة الاستواء وصفة السمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم فلا بد أن يقول (٢٤): لا فنقول:

معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات إذ الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها ونضرب مثلاً ولله المثل الأعلى. فإن الأمثال لا تضرب لله ولكن الأخرويات لا مانع منها كما جاء بها القرآن فنقول مثلاً كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله لفظة (رأس) الراء والهمزة والسين رأس هذه الكلمة أضفها إلى المال وأضفها إلى الوادى وأضفها إلى الجبل قل رأس المال. رأس الجبل فانظر ما صار من الاختلاف بين هذه المعاني بحسب هذه الإضافات وهذا مخلوق ضعيف مسكين فما بالك بالبون الشاسع الذى بين صفة الخالق جل وعلا وصفة المخلوق.

وختاماً يا إخواني نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله وأن تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث:

١ ــ أن تنزهوا ربكم عن مشابهة صفات الخلق.

٢ ــ أن تؤمنوا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ إيماناً مبيناً على أساس التنزيه على نحو.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

(٢٣) فى المطبوع (أعرف) والتصحيح ليستقيم المعنى.

(٢٤) فى المطبوع (تقول) والتصحيح ليستقيم المعنى. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

٣ ـــ وتقطعوا الطمع في إدراك الكيفية لأن الله يقول :

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

ونريد أن نختم هذه المقالة بنقطتين :

إحداهما : أنه ينبغي للمؤولين أن ينظروا في قوله تعالى لليهود :

﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة : ٥٨] .

فإنهم زادوا فى هذا اللفظ المنزل نوناً فقالوا : حنطة فسمى الله هذه الزيادة تبديلاً فقال فى البقرة :

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة : ٥٩] .

وقال فى الأعراف :

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾
[الأعراف : ١٦٢] .

وكذلك المؤولون للصفات قيل لهم استوى . فزادوا لاماً ، فقالوا : استولى . فانظر ما أشبه لامهم هذه التى زادوها بنون اليهود التى زادوها ، ذكر هذا ابن القيم .

الثانية : أنه ينبغي للمؤولين أن يتأملوا آية من سورة الفرقان وهى قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾
[الفرقان : ٥٩] .

ويتأملوا معها قوله تعالى فى سورة فاطر:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[فاطر: ١٤].

فإن قوله فى الفرقان:

﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩]

بعد قوله:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾

يدل دلالة واضحة أن الله الذى وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه لا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها ويفهم منه أن الذى ينفى عنه صفة الاستواء ليس بخبير، نعم هو والله ليس بخبير. وصلى الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.